



-1-

من كان عنده نقصٌ في خصلةٍ يُكثر من التشبع فيها بمالٍ يُعطِ، مِنْ هُنَا تعلم سرّ كثرة ماترى من صور: العائل المستكبر، والوضيع المتكبر، والجاهل المتعال!

ولما في ذلك من الكذب والزور مالاً يناسب وصف المؤمن ورد الوعيدُ على فاعله، كما في البخاري من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها "المتشبع بما لم يعط كلباس ثوبٍ زورٍ" فيلبس المتشبع لباساً غير لباسه، كليلٌ يتذاكي، وتأفهٌ يتعالِ! ورضي الله عن أبي الحسن علي بن أبي طالب حيث قال: "عجبت لمن يقال إنَّ فيه الشر الذي يعلم أنه فيه كيف يسخط! وعجبت لمن يوصف بالخير الذي يعلم أنه ليس فيه كيف يرضي!"

ويعظم الخطيب إذا كانت الدعوى في جانب العلم، لعظيم الجناية بذلك؛ وهو ما أبكى الإمام ربيعة الرأي، فعن الإمام مالك -رحمه الله-. قال: أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة فوجده يبكي، فقال ما يبكيك؟ أMSCBEE دخلت عليك؟ وارتاع لكائه، فقال: لا، ولكن استُفتي من لاعلم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم؛ فقال ربيعة: ولبعضٌ من يفتى هنا أحق بالحبس من السُّراق.

بل هذا الذي استشرفه صلى الله عليه وسلم مما يكون آخر الزمان، ويكون بسببه فسادٌ في الأرض عريض؛ كما في البخاري
ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ اِنْتَزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ
بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِي عَالَمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُلِّلُوا، فَأَفْتَوُا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"

يقول العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله - في كتابه النفيسي (التعالم): "فهؤلاء المتنازلون في ساحة العلم وليس لهم من
عُدَّةٍ سُوِّيَ القلم والدواة، هُم الصَّحْفَيُّونِ الْمُتَعَالِمُونَ، مِنْ كُلِّ مَنْ يَدْعُى الْعِلْمَ وَلَا يُعْلَمُ، شَخْصِيَّةٌ مُؤْذِنَةٌ تَتَابَعُ الشَّكْوَى مِنْهُمْ
عَلَى مَدِيِّ الْعَصُورِ، وَتَوَالِي النَّذَرِ سَلْفًا وَخَلْفًا.. إِنَّهُمْ زِيَادَةٌ عَلَى أَنْصَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ كَوَافِرُ عَمْرَو وَنُونُ الْإِلْحَاقِ.. فَهَذَا الْقَطِيعُ حَقًا
هُمْ غُولُ الْعِلْمِ، بَلْ دُودَةُ لَزْجَةٍ، مُتَلَبِّدَةُ أَسْرَابُهُ فِي سَمَاءِ الْعِلْمِ؛ قَاصِرَةٌ عَنْ سَمْوِ أَهْلِهِ، وَامْتَدَادُ ظَلِهِ، مَعْتَرَّةٌ دُوَالِيْبَ حَرْكَتَهُ،
حَتَّى يَنْطُوِيَ الْحَقُّ، وَيَمْتَدُ ظَلُّ الْبَاطِلِ وَضَلَالِهِ، فَمَا هُوَ إِلَّا فَجْرٌ كَاذِبٌ، وَسَهْمٌ كَابٍ حَسِيرٌ."

-2-

كان هذا الأسلوب الرخيص مستعملًا عند عامة الأفراد ممن استشعر نقصًا وعيبيًا في نفسه مستعيضًا به عما يعلمه من
قصوره وعيبيه؛ دافعه في ذلك حبُّ الظهور والاشتهر، لكنه اليوم ركوبُ للغلاة لما رأوا قلة بضاعتهم من العلم، وعدم وجود
علماء بينهم أو من يوافقهم، أو طلبة علم معتبرين فيهم، فتجدهم يكيلون بالألفاظ على من به مسحةٌ علمٌ أو جلس يوماً إلى
صاحب علمٍ، أو كان يوماً مدمناً جثوَ الرقاب على الأشرطة! أو عنده قطعة ورقٍ من أي معهد أو مدرسة شرعية أو
أكاديمية.. ودافعهم في ذلك حرفُ الناس وتضليلهم.

يذكر لي أحد الثقات أنه كان في منطقته رجلٌ عامي كان قبل الثورة يعمل بلاطًا طوال نهاره، وبعد العشاء يواصل العمل إلى
الفجر عند من يبني بشكل غير نظامي - حيث الليل أستر عن عيون القانون - ولا يعرف عنه طلبُ للعلم فقط، ومنذ انضم إلى
الغلاة بدأت تنسج حوله الأساطير في العلم والفقه والفهم، وصار يقضي في الدماء والأعراض!
هذا نموذج بسيط عن كذبهم وتديليهم والتجمُّل بأثواب الزور.

فصرتَ ترى في وصفهم لهؤلاء الفاسدين ما يخيّلُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تقرأُ سيرةً أحدهم كأنَّ بين يديك سيرة ربيعة الرأي أو الليث بن
سعد أو الأوزاعي أو مالك !!

لذا نجد أتباع دولة البغدادي "داعش" ينسجون هالاتٍ من التقديس لزعماهم تتجاوز الحد الشرعي، فضلاً عن الكذب في
ذاته؛ من ذلك قول العدناني - المتحدث الرسمي باسم دولة البغدادي - : "(وَمَا أَدْرَاكُمْ مَنْ أَبُو بَكْرٍ؟! إِنْ كُنْتُمْ تَتْسَائِلُونَ عَنْهُ فَإِنَّهُ
حَسِينِي قَرْشِي مِنْ سَلَالَةِ آلِ الْبَيْتِ الْأَطْهَارِ، عَالَمٌ عَامِلٌ عَابِدٌ مُجَاهِدٌ.. حَرِيَ بِهِ أَنْ يُتَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ بِالْغَسْلِ عَنْ قَدْمِيهِ،
وَتَقْبِيلِهِ، وَدُعْوَتِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَدَائِهِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْوَلَدِ، وَاللَّهُ عَلَى مَا شَهَدَ شَهِيدٌ) وقد تتابع أنصار التنظيم على
تكرار هذه العبارة في بياناتهم، حتى غدت كلمةً سائرةً في خطبهم وبياناتهم!

وفي البيان الرسمي لدولة البغدادي ذُكر فيه في موضع واحد فقط أكثر (17) صفة و منقبة عظيمة تفحيمية للبغدادي وهي
(العلم، العمل، العبادة، الجهاد، العقيدة، الجلد، الإقدام، الطموح، الحلم، العدل، الرشد، التواضع، الذكاء، الدهاء، الإصرار،
الصبر، النسب القرشي ..).

كما جاء في البيان الرسمي للتنظيم:

(وَمَا أَدْرَاكُمْ مَنْ أَبُو بَكْرٍ؟! إِنْ كُنْتُمْ تَتْسَائِلُونَ عَنْهُ فَإِنَّهُ حَسِينِي قَرْشِي مِنْ سَلَالَةِ آلِ الْبَيْتِ الْأَطْهَارِ، عَالَمٌ عَامِلٌ عَابِدٌ مُجَاهِدٌ،
رَأَيْتَ فِيهِ عِقِيدَةً وَجَلْدًا وَإِقْدَامًا وَطَمْوَحًا أَبِي مَصْعَبٍ، مَعَ حَلْمٍ وَعَدْلٍ وَرَشْدٍ وَتَوَاضُعًا أَبِي عَمْرٍ، مَعَ ذَكَاءً وَدَهَاءً وَإِصْرَارًا وَصَبْرًا
أَبِي حَمْزَةَ، وَقَدْ عَرَكَتْهُ الْمَحْنُ وَصَقَلَتْهُ الْفَتْنَ، فِي ثَمَانِيْنِ سَنِينِ جَهَادٌ يَسْتَقِي مِنْ تِلْكَ الْبَحَارِ، حَتَّى غَدَا جَذِيلَهَا الْمُحَكَّكُ وَعَذِيقَهَا
الْمَرْجَبُ، حَرِيَ بِهِ أَنْ يُتَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ بِالْغَسْلِ عَنْ قَدْمِيهِ وَتَقْبِيلِهِ، وَدُعْوَتِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَدَائِهِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْوَلَدِ، وَاللَّهُ

على ما شهدت شهيد..، وإنني لأحسب أن الله عز وجل قد اختاره وحفظه وادخره لهذه الأيام العصيبة، فهنئاً لكم يا أبناء الدولة بأبي بكر[أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: إن دولة الإسلام باقية، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 49]. تلاحظ هنا كيف سرد صفات الكمال التي تتجاوز سبع عشرة منقبة، وأنها تفرقت في غيره وتكاملت فيه، كل ذلك تمهدًا ليقول "حري أن يتقرب الله بغسل قدميه وتبليها"

يقول إبراهيم بن عمر السكران في مقال قيم بعنوان "التعبد لله بتقبيل أقدام الولاة": هكذا إذن: "التقرب إلى الله بغسل قدمي البغدادي من الأقدار ثم تقبيلها"!.. أي أن أتباع تنظيم البغدادي يُوجّهون إلى اعتقاد التقرب إلى الله بفداء البغدادي بأنفسهم وأولادهم، فـ"يُوجّهون لاعتقاد التعبد لله بتعریض أولادهم للقتل صيانة لسلامة البغدادي".

ويقول أيضًا: "ولا يزال السؤال هاهنا قائماً وهو: كيف يمكن تنظيم الدولة من صناعة الإذعان في أتباعه؟ وما تفسير هذا الانصياع لدى جنوده المقاتلين ومحامييه الشَّبَكَيين؟"

والجواب أن علماء السلوك الإسلامي قدموا تحليلات معمقة لكيفية تخلق الاستسلام في البشر، خلاصته: "أن الإذعان في جوهره حال قلبي للتتابع وهو فرع عن اعتقاد الكمال في المتبوع، سواءً كان كمالاً حقيقاً أم وهمياً"، كما يشرح ذلك أبو حامد الغزالى بعبارات خلابة يستكشف بها مجاهل النقوس فيقول:

(ولا تصير القلوب مُسَخَّرَةً إلا بالمعارف والاعتقادات، فكل من اعتقد القلب فيه وصفاً من أوصاف الكمال انقاد له وتسخّر له بحسب قوة اعتقاد القلب، وبحسب درجة ذلك الكمال عنده، وليس يشترط أن يكون الوصف كمالاً في نفسه، بل يكفي أن يكون كمالاً عنده وفي اعتقاده، وقد يعتقد ما ليس كمالاً كمالاً، فإن انقياد القلب حال للقلب، وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها)

ثم تظهر آثار هذا الإذعان والتسيير على التابع كما يشرح ذلك أبو حامد أيضًا:

(وله ثمرات: كالمدح والإطراء، فإن المُعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقد فيثني عليه، وكالخدمة والإعانته فإنه لا يدخل بذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سُخْرَةً له مثل العبد في أغراضه، وترك المنازعه والتعظيم..) وأجل تحقيق ذلك فإنك تجد تنظيم الدولة يشحّن أفراده بذكر صفات الكمال في أبي بكر البغدادي لصناعة الهالة في نفوسهم بحيث تنتهي إلى إذعانهم وتسييرهم.

يقول د. عماد خيتي-أتابه الله-: "لكن الغلابة عموماً ابتدعوا في ذلك طريقةً تقوم على تزكيةِ كلِّ من تصدر منهم للعلم والفتوى، فـ"يأخذون عنه في كل العلوم، ويجعلون له حق الاجتهاد في أدق المسائل وأخطرها، ويُضفون عليه من الألقاب التي لا تُطلق على الكبار من العلماء الصادقين؛ لمجرد موافقته لهم، وشهادتهم له. ثم إن أخطأ أو ظهر عوار فتياه ورأيه في أمرٍ عظيم كأمور الدماء والأعراض، قيل إنه مجتهدٌ، ونرجوا له الأجر الواحد! فتسلط بذلك الجهلة والسفهاء على دين الله تعالى يحلّلون ويحرّمون ويعبطون، دون رادعٍ أو رقيبٍ، بحجة الاجتهاد".

ومن صور الغلو والانحراف المنهجي عند هؤلاء في هذا الباب:

1- تقديمهم لمن هو في ساحات الجهاد أو مناطق الصراع ولو كان جاهلاً، ومن هنا اشتهر قولهم وتأصيلهم لقاعدة فاسدة (لإيفتي قاعد لمجاهد!).

يقول د. عماد خيتي في مقال مفيد بعنوان (لإيفتي قاعد لمجاهد!): "هذه العبارة (لا يفتي قاعد لمجاهد) ليست من الأصول الشرعية، ولا القواعد المعتبرة، وليس لها أصلٌ من نصوص القرآن أو السنة، أو أقوال أهل العلم، بل هي من البدع المُحدثة، التي تخالف جميع ذلك".

فقد وضع أهل العلم شروطاً للفتوى مستمدّةً من الكتاب والسنّة، ولم يذكروا أنَّ من شروط المفتى أن يكون مقاتلاً أو مجاهداً، أو أن يقيم بمناطق التغور، بل إنَّ العالم يُؤخذ بقوله أيّاً كان موقعه، والجاهل يُترك قوله أيّاً كان موقعه وعمله،

فلا يلصقون بالآباء ما لا يملأون، وإنما بالاستدلال وطرائقه، والكثير من الأئمة وأهل العلم لم يكونوا من أهل الغزو، كالإمام الأربعة، إلا أنَّ ما كتبوه، وأفتوا به في باب الجهاد كان وما يزال عمدًا في الفقه الإسلامي، ومراجع العلماء في كل العصور.

وإنما يجب على الفقيه أن يعرف حقيقة ما يفتى به معرفة حقيقة تُمكِّنه من تصور المسألة تصوّرًا صحيحةً، يبني عليها الحكم الشرعي..

2- التزكية بمجرد الحضور عند المشايخ، والجلوس في حلقاتهم، وأخذ بعض العلم عنهم، أو لمجرد الحفظ لبعض متون العلم، أو الدراسة في الجامعات أو المعاهد لا يجعل الشخص من أهل العلم أو الفتوى، وسيأتي بيان التلبس في ذلك في الفقرة التالية، في الضابط الرابع من ضوابط التمييز بين العالم والجاهل.

3- تعظيمهم لجانب العبادة على جانب العلم، ومثله أن يتحجوا بشجاعةٍ شخصٍ في مقام تزكيته لأخذ العلم عنه! وهذا خلطٌ وتلبسٌ، فإنه لم يذكر أحدٌ من أهل العلم شجاعة المرأة وإقدامه مسوغاً له للتصدر في الفتيا؛ وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الخوارج رغم ما وصفهم به من حسن العبادة، حيث قال: "تحقرنَّ صلاتكم معَ صلاتِهِمْ، وصيامَكُمْ معَ صيامِهِمْ، وعملَكُمْ معَ عملِهِمْ، ويقرؤنَّ القرآنَ لَا يُجاوزُ حناجرِهِمْ، يمْرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ" مع ذلك أمر بقتالهم فضلاً عن السمع لهم. وسيأتي مزيد بيان لهذا في الفقرة التالية.

وليس تعظيمهم البالغ درجة الكذب لموافقيهم إلا لاعتلالهم بنفس العلة وتوافقهم في الزيف والانحراف؛ فأخذوا بحظٍ وافر من حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذم لبس ثوب زور.

ثوب الزور الأول: كذبهم على أنفسهم وتزكيتها بما ليس فيها، والله يقول (ألم تر إلى الذين يذكرون أنفسهم بل الله يذكي من يشاء، انظر كيف يفتررون على الله الكذب..)
الثوب الثاني: كذبهم وتلبسهم على الناس.

ولعظيم استدراجه الله لهم وشُوئِّ عملهم زادوا ثالثاً: أنْ حملوا بذلك على الناس لإفساد دينهم وحرفهم في معتقدهم إيهاماً لهم أنَّ الذي هم عليه هو دين الله إذ إنَّ حملته والمنافقين عنه مَنْ عَلِمْتُمْ من المكانة في العلم والفهم في الدين ! فقلبوا بذلك الحقائق والقواعد المترورة عند أهل العلم الراسخين في الحد الفاصل بين الجاهل والعالم، وكذا هو الضلال لا يزال في انحراف.

وسأبين مداخل الفساد والانحراف في هذه المسألة في ثلاثة ماقams:
المقام الأول: بيان عظيم الجرم بالتشبيع بما لم يعط في ميدان العلم، وقد سبق.

المقام الثاني: بيان الضابط في تمييز الجاهل من العالم.

المقام الثالث: في توضيح أهمية النصح في هذا الباب، وما يجلبه تركه من كوارث على الأمة.

-3-

بيان الضابط في تمييز الجاهل من العالم:

يتَّأكِّد بحث هذه المسألة في هذه الوقت لكثرة ما يحصل من الانحراف في كثير من المسائل -والتي صار ثمن بعضها استباحة دماء وأموال وأعراض معصومة-. وما يرافق ذلك من تطاول الجهلة لمقامات أهل العلم، يتصدرون ماقams العلماء في المسائل الكبار! فصار لازماً بيان حد العالم من الجاهل.

ومن هنا نعلم سرَّ تشديد علماء السلف في بيان حد العالم والجاهل، وتحذيرهم من تصدر الجهلة، ذلك عندما ظهرت البدع في زمانهم، حيث أن مظنة ذلك الانحراف الجهل وتصدر الجهلة.

من هذا قول أبي الزناد رحمة الله: "أدركتُ بالمدينة مائةً، كُلُّهم مأمونٌ [أي من الكذب]، ما يؤخذ عنهم الحديثُ، يُقال: ليس من أهله". وقال ابنُ سيرين رحمة الله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سَمِعْنا لِنَا رجالكم، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السَّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثَهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبَدْعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثَهُمْ"

وكتب مالك بن أنس إلى محمد بن مطرّف: "سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإني أوصيك بتنقّي الله - ذكره بطوله - ... خذه - يعني العلم - من أهله الذين ورثوه ممّن كان قبلهم يقيّن بذلك، ولا تأخذ كلّما تسمع قائلًا يقوله فإنه ليس ينبغي أن يؤخذ من كلِّ مُحدِّثٍ، ولا من كلِّ من قال" **والضابط في حد العالم والجاهل ثلاثة أمور:**

الأول: استكمال الأهلية وشهادة أهل العلم بذلك: ونجد في هذه نصوصاً كثيرة عند الأئمة يحدّرون من تصدّر من لم تكتمل أهليته.

ومعرفة ذلك ليس بادعاء الشخص ذلك لنفسه، وإنما بشهادة أهل العلم الراسخين .

من ذلك قول الإمام مالك رحمة الله: "ليس كلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس، حتى يُشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهلُ الجهة مِنَ المسجد، فإنْ رأوه لذلك أهلاً جلس. وما جلستُ حتى شهد لي سبعون شيخاً مِنْ أهل العلم إني لموضعٌ لذلك"

ويقول الشاطبي في بيان مثال الزلل في هذا: ..

والثاني: أن لا يكون من أهل الاجتهد، وإنما أدخل نفسه فيه غلطًا أو مغالطةً؛ إذ لم يشهد له بالاستحقاق أهل الرتبة، ولا رأوه أهلاً للدخول معهم؛ فهذا مذموم. وقلّما تقع المخالفة لعمل المتقدّمين إلا من أهل هذا القسم

"فالعلم ليس بالادعاء ، وإنما هو شهادة من أهل الاختصاص ، فكما أن الطيب لا يكون طيباً إلا إذا شهد له الأطباء بذلك ، كذلك العالم لا يكون عالماً إلا إذا شهد له أهل الشأن بذلك. قال الشاطبي رحمة الله : "والعالم إذا لم يشهد له العلماء، فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به ، وإلا فهو على يقين من عدم العلم"

هذا كلام العلماء في اشتراط اكتمال الأهلية ليشهد للشخص بالعلم، لكن هل يكفي هذا؟ بل لابد أن يجمع مع اكتمال الأهلية في نفسه حسن تقريره، وهو الجانب الواقعي التطبيقي لاكتمال الأهلية، وهذا يجرّنا للحديث على الضابط الثاني.

الثالث: ضبط المسائل وتقريرها على وجهها، وفق القواعد المتقررة، وعدم الشذوذ عن الراسخين من أهل العلم، فيشهد أهل العلم بصحّة ما أخذه وتقريراته ونتائجـه.

قال النووي رحمة الله: "ولا يتعلّم إلا من تكملتْ أهليتهُ، وظهرتْ ديانتهُ، وتحقّقتْ معرفتهُ، واشتهرتْ صيانتهُ" وتأملوا قوله "واشتهرت صيانته" إذ يشير إلى اشتهرار صحة تقريراته العلمية وصيانته.

الثالث: الأخذ عن أشياع العلم مشافهةً، وطول الملازمة لهم.

وهذا فيه فوائد منها: إتقان العلم وضبطه بحضوره من يقوم ويصحّ؛ اكتساب الأدب وحسن السمت؛ وجود القدوة في الهدي، وهو عاصمٌ من الزيف والبدعة.

وقد أحسن الشاطبي - رحمة الله - حيث أفصح عن ذلك كله بقوله: "الثانية: أن يكون ممّن ربّاه الشّيوخ في ذلك العلم لأخذـه عنـهم وـمـلاـزـمـتـهـ لـهـمـ، فـهـوـ الجـديـرـ بـأـنـ يـتـصـفـ بـمـاـ اـتـصـفـ بـهـ مـنـ ذـكـ، وـهـكـذـاـ كـانـ شـأـنـ السـلـفـ الصـالـحـ؛ فـأـقـلـ ذـكـ مـلـازـمـةـ الصـحـاحـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ لـرـسـوـلـ اللـهـ، وـأـخـذـهـ بـأـقـوـالـهـ وـأـفـعـالـهـ... وـحـسـبـكـ مـنـ صـحـّـةـ هـذـهـ القـاعـدـةـ أـنـكـ لـاـ تـجـدـ عـالـمـاـ اـشـتـهـرـ فـيـ النـاسـ أـلـخـدـ عـنـهـ إـلـاـ وـلـهـ قـدـوـةـ اـشـتـهـرـ فـيـ قـرـنـهـ بـمـثـلـ ذـكـ، وـفـلـمـاـ ُـجـدـتـ فـرـقـةـ زـائـغـةـ، وـلـاـ أـحـدـ مـخـالـفـ لـلـسـنـنـ إـلـاـ وـهـوـ مـفـارـقـ لـهـذـاـ"

والرابع: الاقتداء بمن أخذ عنه، والتلذذُ بأدبه كما علمتَ من اقتداء الصحابة بالنبي، واقتداء التابعين بالصحابة، وهكذا في كلِّ قرن ... فلما ترك هذا الوصف رفعت البدع رؤوسها؛ لأنَّ ترك الاقتداء دليلٌ على أمرٍ حدث عند التارك أصلُه اتباع الهوى"

الخامس: موافقة الحق: فالمسألة ليست بالاستثناء من الحفظ وتقميش العلم، إنما هي موافقة الحق، وسرُّ ذلك أنَّ هذا العلم مصدره إلهي، والمقصد منه هداية الناس إلى الحق، والعلماء ورثة الأنبياء في هذا المقام، فمن جمع علمًا ثم خالف الحق الذي أنزله الله فهذا ليس علمًا ولا يسمى صاحبه عالماً، من هنا ندرك تأكيد العلماء على أنَّ العالم من وافق الحق، وهذا نظرٌ ثاقب وفهم دقيق وتفريق عزيز في حد العالم والجاهل.

وهنا أمرٌ يقع اللبس فيه، وهو ما قد يتصرف به الشخص من الرهد أو كثرة العبادة، أو الشجاعة والإقدام؛ فكما سبق لم يذكر أحدٌ من أهل العلم أنَّ شجاعة المرء وإندامه مسوغًا له للتصدر في الفتيا؛ وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الخوارج رغم ما وصفهم به من حسن العبادة، حيث قال: "تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وعِمَلَكُمْ مَعَ عِمَلِهِمْ ، وَيَقْرَوْنَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ" مع ذلك أمر بقتالهم فضلاً عن السماع لهم.

وهذا اللبسُ إن دل فهو يدل على اختلال الميزان في تقدير الرجال؛ وقد استشرف صلی الله عليه وسلم ذلك وأنه كائنٌ آخر في الزمان، حيث ترفع الأمانة وتختلط الموازين، فيُمدح المرء على شجاعته وظرافته وهو لا يساوي عند الله شيئاً. وفي البخاري من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ..فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إنَّ فيبني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل ما أعلمه وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمانٍ

-4-

المقام الثالث: النصيحةُ في هذا الباب، وما يجلب تركه من كوارث على الأمة.

واجب النصيحةِ اليوم في مثل هذا أوجبُ من التحذير من بعض المعاصي، فهذه مقطوعٌ في حكمها لدى العامة والخاصة، ولابد من التلبيس فيها مثل ما يقع في الانحراف في مسائل الشرع؛ هذا إضافةً إلى ما يجرُ ذلك على حاضر سوريا ومستقبلها من تشكييل عقليةٍ متطرفةٍ تستبيح الدماء، وتكرر المسلمين بغير حق، وتوهن منزلة العلماء، وتخرج من سعة الأمة إلى ضيق الجماعة والمنهج، وتُمزق عباءة الولاء والبراء بتشويهها بمقاسات حسب ما يسمح به ما اخترعوه من أصول وقواعد!

لاسيما واليوم يقوم بعض منظري هذا المنهج المنحرف كالمحيسني ومن وافقهم من شيوخه -كأبي محمد المقدسي وأبي قنادة الفلسطيني- على تعليم شريحة كبيرة من الشباب والنساء على هذا المنهج المنحرف؛ كلُّ هذا وبعد لم تجف دماء المجاهدين من سيف المارقين من دولة البغدادي المزعومة.

وليعلم أنَّ المنظر لهؤلاء وخوارج البغدادي واحدٌ؛ وأنَّ قواعدهم وأصولهم في المنهج واحدة، إنما اختلفوا في أمرٍ رأى بعضُهم أنَّ لو أخرّتموه لكننا معكم.. وإنَّا لهم متفقون في الغاية، وتحكمهم أصولٌ واحدة، ومرجعيتهم واحدة، بل و كانوا على بيعةٍ واحدة!

لكنه حالُ الخلاف بين أهل البدع والزيغ، يرون السيف على مخالفهم، ويستحلون دماء وأعراض وأموال بعضهم. فيما أهل الجهاد في الشام.. أيها الدعاة وطلبة العلم: إنه ليُرجى ويُؤمل منكم أن تدفعوا الخبث من هذا الفكر والمنهج، وتالله لفي رقابكم مسؤولية عظيمة.

وكما قال صلی الله عليه وسلم: "إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرٌ فِيهِمْ" إنه ليُرجى بإذن الله أن ينكسر ويندحر هذا المنهج الغالي، الذي يقوم على تجهيل علماء الأمة، وتضليل عامتها، واستباحة دماء وأعراض خيرتها.

